

ازدواجية دور الأم بعد الطلاق التحديات - الحلول

د/تومي الخنساء

جامعة بسكرة

المخلص :

Abstract :

Divorce is a social phenomenon that has dominated societies in recent times, although it is the most hateful thing to Allah. However, it solved many problems that led to family's collapse, dispersion and loss of children, and due to the absence of solutions to these problems which are sometimes intractable the divorce will be the only solution in this case. After the divorce, the roles of the couple turn back when the husband rebuilds his life and re-marriage. The whole responsibility for raising children falls on the mother. This article spot light on the dual role of the mother after the divorce, indicating the challenges and solutions

Divorce - rôle of the mother – the challenges – the solutions

الطلاق ظاهرة اجتماعية سيطرت على المجتمعات في الآونة الأخيرة، بالرغم من أنه أبغض الحلال عند الله إلا أنه حل للعديد من المشاكل التي أدت في مجملها بالأسرة إلى انهيار، تشتت وفوقها ضياع الأولاد، وبسبب عدم وجود حلول لهذه المشاكل التي تكون في بعض الأحيان مستعصية جعله الله تعالى مخرجاً وفرجاً من الضيق والشدة التي سيطرت على الحياة الزوجية، هذه الأخيرة التي لم تحقق ما أراده الله سبحانه وتعالى - لها من مقاصد الزواج التي تقوم على المودة والسكن النفسي والتعاون في الحياة. فقبل الزواج يكون فيه نمط حياتي معين وبعد الطلاق تتقلب الأدوار خاصة لما يعيد الزوج بناء حياته فتقع المسؤولية الحياتية المستقبلية المفاجئة على الأم لذا سيعالج هذا المقال ازدواجية دور الأم بعد الطلاق مبينا التحديات والحلول.

الكلمات المفتاحية : طلاق - دور الأم - التحديات - الحلول

مقدمة:

يعتبر الطلاق ظاهرة اجتماعية خطيرة، تنذر بالتفكك الأسري وتهدد نسيج المجتمع، وقد طغت هذه الظاهرة على المجتمع العربي بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة، وبناءً على أحدث المعطيات تم تسجيل ستة حالات طلاق كل ساعة في الجزائر، وهذا يعني دق ناقوس الخطر، وضرورة الالتفات إلى هذه الظاهرة الجد خطيرة سواء من قبل الوزارات والمنظمات المعنية أو من قبل الدارسين والباحثين، للوقوف على أسبابها أو الحد من تداعيات هذه الظاهرة التي تهدد نسيج المجتمع الجزائري .

يعد الطلاق حلاً للعديد من المشاكل الأسرية بحيث تصبح استمرارية الزواج نوعاً ما مستحيلة فيقع الانفصال. لكن انفصال بأطفال ليس مثل الانفصال بدون أطفال، كون الأول تتضاعف فيه المسؤوليات خاصة لما يكون أحد الطرفين غير مسؤول ولا يعي قيمة ذلك المخلوق الصغير الذي لا حول له ولا قوة، سينشأ في بيئة مشتتة، بينما النوع الثاني من الانفصال تكون فيه المسؤوليات منعدمة ونتائج الطلاق أخف فلا يتحمل أي الطرفين أية تبعات للفراق. وقد أثبتت العديد من التجارب أنه في هذا النمط يتجه كل واحد بإعادة بناء حياته وبأضرار أخف، حتى وإن خلف أضراراً نفسية مع مرور الوقت يتم تجاوزها. فمقارنة بالنمط الأول تكون مسؤولية الأم الحاضنة كبيرة (سواء الريفية أو الحضرية) وستتضاعف أدوارها المنزلية و الإنتاجية، وعلاوة على ذلك ستلعب دور الأم ودور الأب في آن واحد.

لقد ركزت معظم البحوث والدراسات السابقة التي تناولت هذه الظاهرة أولاً على الزواج كمنظومة مهمة لبناء الأسرة، وعلى الطلاق والأطفال ثانياً. إلا أن هذه الدراسات قد أهملت في معظمها الأدوار العديدة للأم ما بعد الطلاق ويركزون على تحليل وضعها قبل وأثناء الطلاق، مع أنه بعد الانفصال حياة أخرى ومن نوع آخر تظهر فيها أدوار جد مختلفة ونوعاً ما صعبة.

و من هنا تأتي هذه المقالة لتسلط الضوء على أهم الأدوار التي تقع على الأم بعد الطلاق، لتضع هذا الموضوع الحساس والمهم تحت المجهر السوسيولوجي، الأمر الذي سيثري البحث العلمي ويضيء جانب مهم من جوانب الحياة الاجتماعية. إن أهمية هذه الدراسة تنبع من أهمية الموضوع نفسه، فأحد الأسباب التي دفعت الباحثة للبحث في هذا الموضوع هو الارتفاع الملحوظ لنسبة الطلاق في المجتمع، أما السبب الثاني فهو رغبة الباحثة للتعرف والكشف على الأدوار التي تقوم بها المرأة المطلقة، وأخيراً فإن هذا المقال

يسعى إلى رصد أهم الحلول لهذه المشكلة من أجل الوصول إلى بيئة سوية لممارسة المرأة المطلقة لأدوارها المختلفة، وكى يدرك كل فرد من المجتمع حقوقه وواجباته تجاه أفراد أسرته حتى وإن وقع الطلاق.

أولا : مفهوم الطلاق :

1 - لغة:

هو حل القيد والإطلاق، وهو الترك والمفارقة يقال طلق البلاد أي تركها وفارقها وطلقت القوم أي فارقتهم ونقول طلقت البلاد إذا فارقتها والقوم إذا تركتهم والطلاق من الإبل التي لا قيد ولا عقال لها.¹

1-2 - اصطلاحا:

يشير هذا المصطلح إلى إنهاء رابطة الزواج أو إصدار إعلان ببطلان هذه الرابطة ونهاية هذه الرابطة القانونية تنتهي معها الرابطة الوجدانية و الاجتماعية والمادية وخلاف ذلك يترتب عليها مشكلات كثيرة نفسية واجتماعية و اقتصادية، وإذا كانت هذه الرابطة الزوجية قد انتهت وهي تحمل في طياتها أطفال، فإن هذا ما يصعد المشكلات الاجتماعية والنفسية لهؤلاء جميعا وكذا الأبناء.²

ما نستشفه من التعريف الاصطلاحي السابق، أنه الرابطة الزوجية تقوم على العديد من الأركان فبانقطاع الربط المقدس بين الزوجين تندثر كل العلاقات والأواصر التي بني عليها الزواج وبالأخص الجانب الوجداني، ومن ثمة تتجم العديد من المشاكل التي تزيد من حجم الانفصال وتداعياته على أولادهم. الذين يصنفون ويضعون على هامش العلاقة ولا يفكرون في وضع حلول من أجلهم حتى لا تكون انعكاسات سلبية مستقبلية عليهم.

كما عرف على أنه حل الرابطة الزوجية وإنهاء عقد الزواج طبقا لإجراءات قانونية يقرها المجتمع، وقد وضعت الشريعة الإسلامية قواعد محددة لعملية الطلاق و بها أخذ المنظم القانوني.³

إذن،بناء على ما تم طرحه في التعريف الفارط للطلاق، نجد له تعاريف متنوعة بتنوع نظرة الباحثين ومجالاتهم العلمية، ففي المجال الديني ينظر له علماء الدين أنه فك وحل لعقد شرعي ربط بين الزوجين، أما المجال القانوني فهو حل وفسخ عقد قانوني مدني ضمن سابقا حقوق وواجبات كلا الطرفين .

اعتدادا بما سبق وضع قانون الأسرة الجزائري الطلاق حسب المادة 48بأنه:

"يحل عقد الزواج بالطلاق الذي يتم بإرادة الزوج أو بتراضي الزوجين أو بطلب من الزوجة في حدود ما ورد في المادتين 53 و54 من هذا القانون".⁴

وعليه يكون الانفصال إما بالطلاق من طرف الزوج، أو بالتراضي من كلا الطرفين أو الخلع والذي يصدر من طرف الزوجة، فمهما كانت طبيعة الانفصال يبقى تشتت أسري وانهايار عائلة بأكملها، فهو أبغض الحلال عند الله عزوجل، ولا يدرك الزوجين النتائج الوخيمة لهذا القرار إلا بعد مضي سنوات يعيشونها الأطفال مشنتين بين والديهم بسبب قرارات (الأم /الأب) التي لم يكونوا طرفا فيها فيتحملون أعباء الحياة بمفردهم حتى وإن حضر أحد الوالدين لا يعوض ذلك أمن نفسي، أسري واجتماعي .

إذن، الطلاق هو فسخ الزواج أو موت العلاقة الزوجية بين الزوجين بفشل الحياة بينهما ويمارس عن طريق المحكمة بناء على طلب أحدهما أو كليهما، فهو القرار الذي يضع حدا للرابطة الزوجية.⁵

ثانيا: الطلاق وأسبابه في الجزائر:

الطلاق لا يكون وليد اللحظة وإنما يأتي نتيجة تراكمات للعديد من المشاكل العلاقة والتي لم تحل من جذورها، فينتج عنها ضغوطات تؤثر على الحياة النفسية والاجتماعية لكلا الطرفين. والجدير بالذكر أنه الله تعالى قد بين طرق العلاج قبل وقوع الطلاق وبعده وبين أهمية الصلح في كتابه العزيز: "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا" سورة النساء آية 35".⁶

لكن لما تستعصى الحياة الزوجية بين الزوجين يكون الطلاق هو العلاج لحل المشاكل الأسرية، لكن معاناة الجزائر على غرار باقي الدول العربية من انتشار هذه الظاهرة و بسرعة كبيرة تستدعي تدخلا طارئا من طرف السلطات المختصة .

فمثل مشكلة الطلاق تعصف وتدمر العديد من الأسر وتضيع الأولاد وتضعهم محل ضحايا الفراق، فهذا النوع من التجارب تحفر في شخصيات الأطفال وتنتج لديهم مشاكل جمة وتبقى مصاحبة لهم وتمتد إلى أمد بعيد نتيجة الحرمان الأسري. هذا الأخير الذي يعرف بالانفصال عن الوالدين و ما في ذلك من فقدان الأثر الخاص الذي يستتبع الرباط العائلي، فالحرمان من الوالدين هو حرمان من سبل الحياة الأسرية الطبيعية بما ينطوي عليه من انقطاع العلاقات والتبادل الوجداني الدائم بالوالدين ومن ثم فإن الانفصال يفضي إلى خبرة الحرمان.⁷

فحسب الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء خلال نشرته المعلوماتية لشهر أغسطس ارتفاع معدلات الزواج والطلاق في شهر يونيو 2017، بحيث أوضح الجهاز أن نسبة الارتفاع في معدلات الطلاق خلال شهر يونيو الماضي بلغت 15% مقارنة بذات الشهر من العام السابق. حيث بلغت في يونيو 2017 نحو 11 ألفاً و 500 حالة طلاق مقابل 10 آلاف في يونيو 2016 بمعنى 6 حالات طلاق في كل ساعة. وبناء على هذه النتائج احتلت الجزائر المرتبة 05 ضمن قائمة الدول العربية⁸

بناء على المعطيات الفارطة يستدعي منا الوضع طرح جملة من التساؤلات والبحث حول أهم الأسباب والمسببات المؤدية لارتفاع هذه الإحصائيات يمثل هذه الوتيرة. يؤكد خبراء اجتماعيون ونفسانيون أن أسباب هذه الظاهرة تختلف وتتباين بين أسباب مادية وأخرى غير مادية، ناجمة عن اختلاف الطبقة الاجتماعية بين الزوجين فينعكس على الاستقرار الاجتماعي والمادي للأسرة، فمثلاً الزوج ينحدر من عائلة فقيرة الحال والزوجة من أسرة ميسورة الحال، فيقع الزوج في مشاكل ناجمة عن عدم مقدرته على توفير متطلبات البيئة المادية السابقة للزوجة، فيبرز عدم تأقلم وعدم تقبل الزوجة للوضع المادي للزوج فيقع الطلاق .

لكن النظرة المادية يمكن بتحلي كلا الزوجين بالصبر و المثابرة والإدارة المادية الاستهلاكية لعائلتهم يستمر الزواج وينجح، وأثبت ذلك العديد من تجارب أسر سابقة فيه أسباب أخرى تعصف بالأسرة وخاصة الثقة بين الزوجين، ويعد هذا السبب من بين مفرزات وسائل الاتصال الاجتماعي وتطور وسائل الإعلام وتكنولوجيااته الحديثة ألا وهو الخيانة الزوجية من أحد الطرفين. والتي تترك آثاراً وندوباً يصعب التئامها مع الوقت وتتعاكس على نفسية الأطفال، فهو ليس بالأمر الهين إنها خيانة للرابطة المقدسة بينهم وميثاق الله العظيم وهو الزواج.

إضافة للأسباب السابقة فيه سبب لا يقل أهمية وهو العنف الأسري بأنواعه (لفظي - جسدي) والممارس في أغلب الأحيان من طرف الزوج لزوجته، «تلتجأ الزوجة في هذه الحالة للخلع وهو انفصال لكنه يأتي بقرار من طرف الزوجة وليس من طرف الزوج، يعتبر الخلع هروباً من جحيم حياة زوجية مزيفة، تستحسن فيه المرأة لفظ مطلقة حرة منطلقة هربت من ظلم زوج جائر بدلاً من زواج مزعوم، شكلي ظاهري أمام أفراد المجتمع يعد سجنًا لها لا سكنًا يملئه المودة والرحمة بينها وبين زوجها .

تأسيساً على ما تم طرحه، يصعب تعداد الأسباب المؤدية للطلاق، نجد أسباب ديمغرافية كعدم مقدرة أحد الزوجين على الإنجاب، أسباب اجتماعية كتدخل أهل أحد الطرفين في العلاقة الزوجية بين الزوجين فتتشب مشاكل مستعصية بين الأسر، كذلك من بين هذه الأسباب نفسها هو خروج المرأة للعمل والنظرة المادية للزوج لراتب زوجته .

عموما بناءاً على ما تم تقديمه سابقاً، يمكن تلخيص أسباب الطلاق فيما يلي:

- سوء الاختيار من كلا الطرفين (الزوج - الزوجة) .
- الزواج المبكر وفارق السن بين الزوجين، الذي يخلق فروقات فردية فيما بين الزوجين .
- عدم عمل الزوج مما يصعب عليه توفير الحاجيات الأساسية للحياة الزوجية .
- الفساد الأخلاقي الذي يمس الزوج في كثير من الأحيان (السرقة - المخدرات - الخمر) .
- الخيانة الزوجية التي أصبحت من مفرزات شبكات التواصل الاجتماعي خاصة الفايسبوك .
- عدم الالتزام بالواجبات الزوجية من كلا الطرفين مما يؤثر على الاستقرار الأسري .
- خروج المرأة للعمل والمفاهيم الخاطئة حول الحرية الشخصية والاستقلالية المادية من طرفها، في المقابل محاولة احتكار الزوج لراتب الزوجة مما يؤثر على نفسية المرأة فتتحول من صفة زوجة وشريكة حياة إلى آلة تعمل على توفير الجانب المادي. فتطورها الاجتماعي يشعرها بحريتها وقيمتها وشخصيتها في الحياة أكثر من عدم عملها ويجعلها أكثر استعداداً للمناقشة حول الحقوق الزوجية وشؤون الأسرة.⁹
- تدخل الأهل في أمور الزوجين، سواء من طرف عائلة الزوج أو الزوجة وفرض قرارات تعسفية في بعض الأحيان، كتطبيق الزوج لزوجته أو خلع الزوجة لزوجها .
- غياب وانهايار طرق التواصل والحوار الأسري بين الزوجين. وهو ما يسبب الطلاق النفسي الذي يسبق الطلاق الرسمي فيعصف بالزواج¹⁰
- انتشار العنف (الجسدي - اللفظي) من طرف الزوج لزوجته، والعنف اللفظي من الزوجة لزوجها.
- تسرب الملل، الركود واللامبالاة إلى حياة الزوجين فيصبح كلاهما يفكر في البديل والذي يكون إما عن طريق الخيانة الزوجية أو الطلاق أو زوجة ثانية.
- وجود المشاكل الجنسية (ضعف جنسي لدى الرجل - البرود الجنسي لدى المرأة)

عند بعض الزواج، وذلك بسبب ضعف الثقافة الجنسية قبل الزواج وعدم وجود متابعة صحية تمثل هذه الحالات واعتبارها من الطابوهات التي يصعب وضع حلول لها خاصة إذا مست الرجل وفسرها مساس برجوليته فيكون الطلاق أحد الحلول.

ثالثاً: آثار طلاق الوالدين على الأطفال :

تمثل ظاهرة الطلاق في مجتمعاتنا العربية عامة والجزائر خاصة خلا اجتماعيا يؤثر في كثير من الأحيان على الأطفال أكثر من الأب والأم، فيطلق المجتمع مسميات كثيرة عليهم تجدها تمس مشاعرهم وتجرحها ك: " أطفال الطلاق " " والديه مطلقين " "يتيم الأب وهو حي " " يتيم الأم وهي حية " " أمه هجالة " ...يعني مصطلحات تجدها تترك أثراً ووصمة اجتماعية حادة عليهم. متناسين أنه هؤلاء الأولاد قد تعرضوا لخبرة مؤلمة نتيجة فراق والديهم، وبالتالي يتغير نمط المعيشة من أسرة سوية - إلى تفكك أسري - طلاق - إلى العيش مع احد الوالدين. هنا تظهر العديد من الآثار والتي لم يغفل عنها المرشدين اجتماعيين و النفسانيين محاولين وضع برامج إرشادية اجتماعية وأخرى نفسية للتقليل من حدة الموقف وتوضيح أحد طرائق التكيف الجديدة مع هذا النسق المعيشي الجديد، فتخفف من حدة الأم لكن تبقى الجراح عميقة عمق فراق والديهم. وفيما يلي توضيح لأهم الآثار التي تظهر على الأطفال بعد انفصال والديهم :

3-1- خسارة الأسرة :

إن من بين الآثار القوية والصادمة للأطفال بعد طلاق وانفصال والديهم هو فقدانهم للأسرة وجوها التفاعلي، فقدانهم للرابط القوي الذي فرضه الله تعالى في قرآنه الكريم : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: 1) ¹¹.

وإذا حدث الفراق انقطع الاتصال إما بالأب أو الأم، فهمها تكن الوضعية الاجتماعية التي آلت إليها الأسرة إلا أنهم يبقون مصادر مهمة لأبنائهم. فبالأسرة يتوفر الدعم العاطفي، الاجتماعي، النفسي، الاقتصادي، الديني وحتى الثقافي.

و هذا ما أكدته العلم التربوي الذي يجمع على أهمية الأبوين في تربية وتنشئة الطفل الاجتماعية خاصة دور الأم الرئيسي في التنشئة المبكرة و إبراز دورها في السنوات الأولى في حياته كنقطة انطلاق لنموه الفكري وتطوره جسديا وفكريا. ¹² في السياق نفسه، أبرزت نظرية "ماري إينسورث" بعنوان : "تعلقات ما بعد الرضاعة" تناول فيها التعلق كسلوك يمتد

عبر دورة الحياة يؤثر على أوجه النشاطات المختلفة فيما بعد، إذ تأتي هذه النظرية كامتداد طبيعي لتغيرات النمو المصاحب لتعلق الأطفال براعيتهم أو من يقوم مقامهما خلال سنوات مابعد الرضاعة، وكذلك التعرف على الروابط الوجدانية خلال حياة الفرد وتقوم هذه النظرية على أنظمة سلوكية من خلالها وبهم يتم التفاعل والتعلق وهذه الأنظمة هي التالية :

- نظام الرعاية المقدمة عن طريق الوالدين بأبنائهم ومقارنة هذه الروابط بمدى تعلق الأبناء بوالديهم .
- الروابط الزوجية و ما يتبعها من تناسل يهيئ الفرصة لتعلق ناجح .
- أشكال الصداقات في كل من الطفولة والرشد والأنظمة السلوكية التي تحكمها وكذلك الظروف¹³.

من خلال ما سبق، يتوضح لنا أن هذه الأنظمة ضرورية بالنسبة للأولاد قبل وبعد الرضاعة فهي بمثابة ضوابط وثوابت ضرورية لأسرتهم والملاحظ أنه في غياب و انهيار هذه الأنظمة بشكل أو بآخر ستتعرض على الطفل لأنها ستشكل له خسارة عظمى لكيان أعظم يمثل حاضره ومستقبله .

فالأم قاعدة آمنة وملأ آمن، فهي من تقوم بتلبية كل الاحتياجات البيولوجية وتقدم الدعم النفسي والمعنوي أيضا لأولادها. فهي من تزرع فيهم الثقة و الأمن والصدق إلى جانب دور الأب خاصة لما يكون الدرع الواقي ضد كل المتغيرات والمشاكل التي من شأنها تعكر صفو العائلة، أما إذا كان العكس فغيابه أحسن من وجوده.

عموما الضرر الناجم على الأولاد في بعدهم عن إشراف ومتابعة والدهم أو عن حنان والدتهم، في الحالة الأخيرة يكونوا الأولاد عرضة لنسق حياتي مركب مابين انفصال والديهم ومابين رحمة زوجة الأب التي من المستحيل أن تعوض مكان والدتهم، خاصة لما ينجب والدهم أولاد جدد من الزوجة الثانية. كل هذا يؤثر سلبا عليهم فيتجهوا إلى الشارع و الانحراف والوقوع في الآفات الاجتماعية بكل أنواعها .

3-2- الخسارة المادية :

من أبرز الخسائر التي يتحملها الأبناء بعد الانفصال هي الاحتياجات المادية الغير المتوفرة، لذا تجدهم يعيشون ضغط اجتماعي مادي مزري يشعرهم بحالة العوز الدائم، خاصة لما تكون الأم مأكثة في البيت وغير عاملة، لا تملك أي عائل آخر أو مورد رزق تقتات منه هي وأولادها لتعيش حياة سوية ماديا. تحصيل حاصل يؤثر هذا العوز على

شخصية الأطفال خاصة لما يتخلى الوالد على الإنفاق المادي عليهم، فيتوجهون إلى سوق العمل بكل أنواعه مقارنة بأجسادهم الهزيلة، الضعيفة والصغيرة لمساعدة أهم بتوفير كل ما يحتاجونه. أثبتت العديد من الدراسات والواقع بصفة حقيقية من خلال معايينتنا للحياة الاجتماعية بصفتنا باحثين اجتماعيين أنه الأماكن التي يتوجه إليها الأولاد للعمل هي مواقع البناء بحمل الأثقال الأكبر والأثقل على أجسادهم، كذلك يعملون في محطات البنزين المتسببة لهم في أمراض سرطانية خطيرة، و لا ننسى عملهم كمنظفين في المنازل والفنادق... والأهم من كل ذلك الشارع و ما يحمله من مشاكل اجتماعية عالية الطراز إذا ما تكلمنا مثلا على العنف و الاستغلال الجنسي، فعلا مشاكل وأضرار تضر بالأولاد نتيجة الطلاق وتداعياته السلبية إذا لم تكن الأم حاضرة وواقفة على تنشئة وتربية وبناء شخصية أولادها في هذه الحقبة العمرية المهمة ضمن أهم تطورات فرضها الطلاق.

3-3- خسارة الراحة النفسية :

لما يقع الطلاق يعني تغيير الحياة جذريا، خاصة لما ينتقل الأولاد للعيش مع أهم في منزل جدهم، أو البقاء في منزلهم، أو الانتقال لمنزل جديد وحي جديد. و في كثير من الأحيان ينتقلوا للعيش في منزل الجد، فالتغيير لا يكون على مستوى المنزل إنما يتعدى لتغيير بيئة وأقارب وأصدقاء وحتى المدرسة، بمعنى أدق إطار معيشي يحتاج للتكيف من جديد. والملاحظ انه الأطفال في هذه المرحلة - ما بعد الانفصال - تدهم منهاري القوى وينتابهم موجات من التوتر و الاكتئاب نتيجة رفضهم للوضع الاجتماعي الذي آلت إليه أسرته.

إن فقدان أحد الوالدين يحطم كيان الطفل وبنيتة النفسية، فجزء من شخصيته يحصل فيه "بتر نفسي" AMPUTATION PSYCHIQUE يؤدي إلى عواقب وخيمة على نموه بصفة عامة.¹⁴

معظم البحوث النفسية والاجتماعية تميز حالة الطفل النفسية بعد انفصال والديه بمجموعة من الصفات والمميزات التي توحى بالمرحلة الصعبة التي يمر بها وما أفرزته على جميع المستويات، كالصدمة النفسية ونتائجها على المدى القريب والبعيد، حالات الاكتئاب، الحرمان العاطفي خاصة، التوتر، الأرق، الانحراف وكذا تنشأ لهم عقد نفسية عن الزواج والطلاق والأولاد، نتيجة فشل والديهم في الحفاظ على أسرته. فيتحول ذلك الفشل إلى نموذج سلبي يمنعهم من الاستقرار مستقبلا، وتتغير هذه النظرة إلا لما يتم إخضاعهم لبرامج إرشادية

نفسية واجتماعية منتظمة حتى يتجاوز هذه المرحلة بكل حيثياتها السلبية. وفيما يلي نلخص ما يقع على الطفل نتيجة فقدان العيش في كنف والديه معا أو فقدان أحد الوالدين نتيجة الطلاق وهي كآآتي:

- فقدان الطفل للشعور بالأمان العاطفي والذي يرافق عادة بتناذر الهجر، خاصة من قبل الوالد الذي يترك المنزل
- يفقد حنان والديه المجتمعين حوله، و السعيدان والمسروران معه بتقاسمهما لحظات سعيدة برفقته .
- يفقد إمكانية التقمص والتعبير عن الرغبات التي يشعر بها تجاههما، والتي تسمح له ببناء نموذج ذكري أو أنثوي وتكوين نموذج عن العلاقة الزوجية .
- يفقد معاملته الفضائية - الزمنية مع انعكاساتها الجسيمة والعاطفية .¹⁵

3-4- التوافق بين الوالدين والمشاكل المستمرة بينهم :

تبدأ عملية الانفصال بالشكل الفعلي داخل المحكمة، فقرارها تنتهي كل الحياة الزوجية وتتحول الحياة معهم لواقع مغاير ومختلف تماما، يحمل الكثير من الكدمات والصدمات النفسية التي تحول دون استمرارية الحياة بطريقة سوية. فتجد الكثير من المنفصلين مشحونين حتى بعد الطلاق فيحمل كل طرف المسؤولية للطرف الآخر وبهذا الشكل تستمر المشاكل حتى بعد الفراق، مما ينعكس سلبا على الأطفال ومدى توافقهم مع الحياة الجديدة والمشاكل المستمرة بين والديهم. خاصة لما تستلم الأم الحضانة والولاية على أولادها ويتحمل الوالد كل تبعات الطلاق ومصاريف النفقة من جهة وكيفية بناء حياته الجديدة من جهة أخرى.

فلما يأتي موعد زيارة الوالد لأولاده أو زيارة الأم لأولادها تبدأ جلسات الحوار المشحون بالتوتر والحزن والتعاسة للفقد والتفكير في سبل العيش الجديدة، فيبدأ مثلا الوالد بملى وتسميم أفكار أولاده ضد أهم والعكس كذلك، مما يقع الأطفال ضحية مرة أخرى لمشاحنات ومشاكل سلبية تحرمهم الراحة النفسية - الاجتماعية. فتجده يسمع للوالد وللوالدة ولا يجد أية طريقة تحول دون تفاقم الأمور، فهنا يقع في بؤرة عدم التوافق بين والديه مع استمرارية المشاكل من نمط آخر.

رابعا: نظرة المجتمع للمرأة المطلقة :

تهتم الدراسات والبحوث السوسيولوجية بالبحث في القضايا المعقدة والشائكة،

والتي تشكل جانب مرضي في المجتمع. هذا الأخير هو الفاعل الذي يقوم بالفعل وفي نفس الوقت المفعول به، لأنه يصنع كل الظواهر المتنوعة بتنوع أسبابها ومسبباتها. والطلاق أحد أهم هذه الموضوعات المركبة والذي يحتاج دائما وضعه تحت المجهر السوسيولوجي للكشف على أسبابه، وآثاره على (الزوج - الزوجة - الأولاد) وضرورة وضع أهم الحلول قبل وبعد وقوعه.

مما لا شك فيه، أن الزواج رابط شرعي قانوني واجتماعي يربط بين المرأة والرجل، بانهاية وفكه تنتج آثار جسيمة على الصحة النفسية للفرد ومدى تماسكه بأقرانه من أفراد المجتمع الواحد.

بناء على ما سبق، تعتبر المرأة هي الكيان الأساسي والركيزة المتينة لبناء معالم المجتمع بجانب الرجل، وقد خصها الله تعالى بميزات وخصائص تجعلها في قمة السعادة أثناء عطائها وبنائها لأسرتها على المستوى الخاص micro level أو على المستوى العام macro level. في نفس الوقت على قدر السعادة المتحصل عليها جراء هذا العطاء على قدر الألم والحزن الذي ينتابها أثناء فقدان أسرتها وتشتت أبنائها .

بمعنى أوضح، أن الروابط الاجتماعية والتي من أبرزها الزواج قد يزيد من إحساس المرأة بالرفاهية والرضا و السعادة، في حين بطلانه أو تفككه قد يؤدي إلى عدم الرضا، الأمر الذي اتفق مع ما أشارت له دراسة "هو وغولدمان" حيث أظهرت أن المتزوجين يعمرن أكثر من العزاب، أما "غرامر" فقد أشارت إلى أن المتزوجين مقارنة بالعزاب والأرامل والمطلقين هم أسعد حالا وأفضل صحة وأقل عرضة للإصابة بالإضطرابات النفسية المختلفة¹⁶.

دائما وفي نفس السياق، لما يحدث الانفصال تقع آثاره السلبية بشكل كبير على الزوجة والأبناء، وهذا ما أثبتته العديد من الدراسات النفسية والاجتماعية معا، وعوزها المادي يزيد من تفاقم الصعوبات التي تحول دون استمرارية الحياة بشكل مريح لها ولأودها بسبب عدم تغطية كل الاحتياجات الضرورية. وعليه تجد المرأة المطلقة نفسها ضمن نسق حياتي جديد مليء بالتحديات بعدما كانت تتقاسم كل شئ مع شريك حياتها السابق، وقد تزداد حدة هذه المعوقات إذا لم تجد الدعم المعنوي والمادي والاجتماعي والديني ممن حولها، خاصة أسرتها التي عادت إليها بمشاعر كلها ألم وحزن وانكسار. إذن هي مرحلة ليست بالهينة ينتابها شعور بالوحدة والقلق من المستقبل المجهول والحاضر الأسود كما تشعر بالاكنتاب والتوتر...

تأسيسا على ما سبق، واستكمالا لما تعايشه المرأة المطلقة و ما عاشته تأتي نظرة المجتمع وتفسيراته الظالمة في كثير من الأحيان لها ولما آلت إليه أسرتها، فتحملها النتيجة على أساس أنها امرأة فاشلة في الحفاظ على كيانها الأسري، بالرغم من نظرة الدين الإسلامي وأحاديثه النبوية للمرأة تبقى نظرة المجتمع لها نظرة عرجاء تزيد من حدة أوجاعها بدلا من مساندتها. فنجد المرأة المطلقة وحتى الأم العزباء في الدول الغربية تسعى المنظمات العالمية النسوية ومؤسسات مجتمعهم المدني لمساندتهم، أما في الدول العربية تجد أغليبتهم ينظرون لها على أنها إنسان منتهى الصلاحية ولا يحق لها إعادة بناء حياتها من جديد و يرفضون حتى الارتباط بها. مع وجود قلة قليلة من تساند هذه الفئة المهمشة مجتمعا لكن رغم ذلك ضرورة تكاتف الجهود لمساندة الأسرة قبل الطلاق وإن وقع تستمر المساندة والمساعدة الاجتماعية والنفسية لتفادي كل المشاكل التي تنعكس على الأطفال خاصة .

حيث أجمع الخبراء أن الأطفال الأكثر تضررا من انهيار العلاقات الزوجية، فقد أظهرت دراسة أجراها عبد الله محمد الفوزان على عينات من المجتمع السعودي أن 90 بالمئة من حالات إيذاء الأطفال ناتجة من سوء معاملة الأم والأب المنفصلين¹⁷.

وعليه تعتبر نظرة المجتمع إلى المرأة المطلقة هي نظرة فيها ريبة وشك في سلوكها وتصرفاتها، مما تشعر معه بالذنب والفشل العاطفي والجنسي وخيبة الأمل والإحباط مما يزيد بها تعقيدا ويؤخر تكيفها مع واقعها الحالي، فرجوعها إذن إلى أهلها وبعد أن ظنوا أنهم ستروها بزواجها وصدمتهم بعودتها موسومة بلقب " المطلقة". وأنهم سيتخلون على مسؤولية أطفالها وتربيتهم مما يرغم الأم في كثير من الأحيان التخلي على التخلي عن حقها في رعايتهم، إذا لم تكن عاملة... أما إذا كانت عاملة وتحتك بالجنس الآخر فتلوكها السنة السوء فنكون المراقبة والحراسة أشد وأكثر إيلا ما عليها¹⁸.

خامسا: دور الأم بعد الطلاق :

قبل الولوج لدور المرأة بعد الطلاق يجدر بنا التكلم على الطلاق قديما وحديثا بالنسبة للمرأة، فالإسلام أحد الديانات السماوية الذي رفع من مكانة المرأة، وأكرمها بما لم يكرمها به دين آخر ، لأنها إنسان خلق في أحسن تقويم فجعل منها الجدة، الأم، البنت، الأخت، الخالة، و العمة. و عليه أقر بضرورة تكريم المرأة فقال الله تعالى في محكم تنزيله: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا" (70) الإسراء¹⁹

و الجدير بالذكر أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بين في حديث النبوي: "إنما النساء شقائق الرجال ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم". وأوصى في حديث آخر: "استوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم؛ إن لكم عليهن حقا، ولهن عليكم حقا". وفيه العديد من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي بينت قيمة المرأة ومكانتها الرفيعة حتى في أمور الطلاق قد وضحها الله تعالى، فأباح للزوجين أن يفتقرا إذا لم يكن بينهما وفاق و اتفاق؛ ولم يعد باستطاعتهم العيش سويا؛ فيسر للزوج طلاقها بعد أن تفشل جميع محاولات الصلح و الإصلاح بينهما. و أباح للزوجة أن تفارق الزوج إذا كان سيئاً في معاشرتها، فلها أن تطلب مفارقتها شرط أن تعوضه بمبلغ معين، كل ذلك لأجل المفارقة وطلب الطلاق بالتالي هي أيسر لأن ديننا دين يسر وليس دين عسر، إذن الإسلام وضع حدودا بين الزوجين يكون أساسها معرفة الحقوق والواجبات، حتى وإن وقع الطلاق يكون حق كل طرف محفوظ. فهذه القوانين الدينية لا يجب تجاوزها، لكن مع تغير المنظومات الاجتماعية و ما فرضه التطور على مستويات عدة، تغيرت المفاهيم سواء للزواج أو حتى الطلاق. فمثلا المرأة قديما حسب ما تداولته العديد من المراجع التي تهتم بهذا الكيان الأساسي لتشكيل الخلية الرئيسية داخل المجتمع، أن المرأة كانت تملك حق الطلاق وتعتبر عنه بجملة من التصرفات كالتغيير باب الخيمة أو مغادرتها للبيت الزوجية وعودتها لبيت والدها، كدليل يوحي برفضها هذا الزوج عشيرا لها. هذا قديما أما حاليا مفهوم الطلاق تغير، فالمرأة لا تفكر لا في تغيير وجهة بيتها ولا أي أمر آخر بقدر ما تفكر في حريتها الشخصية و استقرارها الاجتماعي والنفسي خاصة لما تعايش زوجا سيئا لم يحسن معاشرتها. و عليه فرص المرأة في الوقت الراهن مقارنة بالعصور والأزمنة السابقة أصبحت أوسع وبمقدورها تحمل أعباء الأولاد بعد الطلاق، و يبقى دور الزوج الرجل استثنائي لأنه القوامة له في كل الأحيان.

يبقى الزواج رابط مقدس تنشأ عنه أسرة من شأنها تساهم في البناء المجتمعي للمجتمع ككل، وإذا تكلمنا عن الأسرة يستوجب لنا وللوهلة الأولى وجود زوجين وهما مركبين ضروريين لبناء الأسرة ودورهما المحافظة على هذا الكيان الأسري؛ ومدى استمراريته وفق أصول وأساسيات الزواج الناجح خاصة بتوفر المودة والرحمة بينهما. فلكل طرف منهما دور معين يكمله دور الطرف الثاني وفي غياب أحد الطرفين يستصعب على الآخر الحفاظ على توازن هذه الخلية الأساسية، وينتج عن هذا الوضع اختلال التوازن الأسري. هذا ما يحدث أثناء الطلاق الذي ينعكس على الأدوار وعلى الاستقرار الأسري للأطفال خاصة، فلما يحدث

الانفصال يتجه الزوج (المطلق) للبحث على البديل كحل جديد وسريع، فيما تتحمل الزوجة (المطلقة) أعباء فشل هذا الزواج وإمكانية إعادة الزواج تبقى نسبية ومرهونة بعدة أمور، أهمها عدم تقييدها في أولادها والخوف عليهم، كذلك النظرة السلبية والمجحفة للمجتمع العربي عامة والمجتمع الجزائري خاصة للمرأة المطلقة وكأنها هي السبب في حدوث الطلاق وليس الرجل، فيتهم المجتمع المرأة المطلقة ويبرئ الرجل المطلق وفي هذا المقال سنحاول التركيز على ازدواجية دور الأم المطلقة بعد الانفصال. محاولين الكشف على مهام عدة تتولاها المرأة المنفصلة في غياب الرجل الذي ميزه الله تعالى بالقوامة وتوليه كل الأمور الحياتية والمعيشية.

فقبل أن تباشر المرأة المطلقة (الأم) مهامها الجديدة، كانت تضع في تفكيرها أن الزواج جاء ليكملها وفق ما تتمناه وتتصوره وهو من حق أي فتاة، لتتفاجئ بواقع مرير يفرض عليها واجبات فوق ما تتحمله من التبعات النفسية والاجتماعية للطلاق. هي ذاتها تجد نفسها في وضع جديد ولقب جديد ونظرة المجتمع لها التي يتهمها هي ويبرئ الرجل في كثير من الأحيان، بالرغم من محاولات علماء الدين وعلماء علم النفس والاجتماع على إنجاح هذه الرابطة المقدسة قبل أن تقع في الطلاق ومخلفاته النفسية، المعرفية والسلوكية على الأطفال؛ غير أنه نظرة المجتمع للمرأة المطلقة لم تتغير بالرغم مما تم طرحه من أفكار ودراسات حديثة توحى بضرورة الوقوف مع المطلقة ومساندتها بشتى الوسائل .

لما تعود المرأة لأسرتها وهي مطلقة تنتج بذلك مشكلة إلى جانب المشاكل التي تعيشها مع طليقها والمحاكم؛ حيث تبدأ ببناء شخصية حديثة تتسم بالقوة والصلابة لإعادة بناء نفسها والمحافظة على أولادها، وفي المقابل كل ذلك ستأخذ دور مزدوج يغطي دور الأمومة والأبوة معا. لتظهر بعد مدة من زمن نتائج تلك الازدواجية إما بنجاحها في تربية أولادها تربية سليمة حتى وإن كانت معتمدة على دورها فقط، أو تفشل في احتوائها لأطفالها نتيجة عدم تقمصها الدور بنجاح، فلا يخفى لنا انه دور الأب داخل الأسرة بمثابة المنبه الذي يضبط تصرفات أولاده ودور الأم المكمل له، وإن غاب غابت معه كل الضوابط فتزيد الأم مثلا في دلالتها لأولادها واضعة في تفكيرها أنها تعوضهم لكنها تأخذ بهم إلى طريق الانحراف خصوصا لما يصبحوا في فترة المراهقة وإفصاحهم على مشاعرهم برفض الانفصال عن طريق الغضب، الإحباط والاكتئاب ومن ثمة الانحراف بأنواعه وهنا تنتقل من مشكلة إلى مشكلة أوسع وأكبر وتصبح تبحث على كيفية تأهيل أولادها لتأخذهم لبر الحياة

الصحيحة لا تعاد فيهم تجربتها المريرة، إذن دور الأم بعد الطلاق ليس بالأمر الهين أبدا وإنما يحتاج إلى قوى خارقة. وعموما في مايلي سيتم توضيح طبيعة ازدواجية دورا لأم بالتفصيل .

5-1- الحضانة:

تعد الحضانة أحد الوسائل التي صنّها الدين الإسلامي والقانون الجزائري، لتوفير الحماية والرعاية المادية والمعنوية للأولاد بعد الطلاق. بهدف القيام على شؤونه والمحافظة على عقله، دينه، وحمايته خاصة من الانحراف والانحلال الخلقي.

تعرف الحضانة لغة بفتح الحاء وكسرهما مأخوذة من الحضان وهو الجنب، فالحاضنة ترد إليه المحضون، وتنتهي في الصغر بالتمييز؛ ومنه الاحتضان، وهو احتمالك الشيء وجعله في حضنك كما تحتضن المرأة ولدا فتحملة في أحد شقيها وحضن الطائر بيضه، أي ضمه إلى نفسه تحت جناحيه، وكذلك المرأة إذا حضنت ولدا والحاضن والحاضنة هما الموكلان بالصبي يحفظانه ويربيان²⁰

اصطلاحا عرفها محمد عليوي ناصر: "الحضانة هي المحافظة على من لا يستطيع تدبير أموره بنفسه وهي أيضا تربية الطفل والإشراف عليه في مدة معينة، وهي ولاية نظر يراعي فيها الأصلاح، والغرض منها حفظ المحضون وإلا فلا يحكم بها"²¹

تأسيسا على ما سبق، نستخلص أنه ضروري إسناد حضانة الطفل للأم أو للأب بعد الطلاق، وفي معظم الأحيان تسند الحضانة وكفالة الابن لأمه، لتكتمل تربيته بمفردها بعد انسحاب الوالد. فقد أجمع أهل العلم والفقه على أحقية الأم بحضانة أولادها إذا طلبتها وتوفرت فيها شروط الحضانة، واستدلوا على الحكم بما نُقِلَ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابني هذا بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وججري له جواء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعه مني. فقال: أنتِ أحقُّ به ما لم تتكحي).²²

تستمر الحضانة بالنسبة للولد حتى يبلغ السن القانوني لإسقاط الحضانة وعادة يكون للطفل ما بين 10-16 سنة والفتاة حتى سن 18 سنة، وتسقط الحضانة في حالة زواج الأم فتسند للوالد وتسقط منه أثناء الوفاة أو بتنازل منه فتنتقل لأم الأم، و ما نريد التنويه انه القانون الجزائري قد أغلق فرصة إعادة الزواج بالنسبة للمرأة بعد الطلاق و احتضانها لأولادها، فتقع بين خيارين مهمين احدهما إما التضحية بحياتها مقابل تربية أولادها أو أنها

تتنازل عليهم لوالدهم وهنا يتطلب من الأم عزيمة وإصرار لأنه لا يوجد أصعب من هذا القرار، ففضل تربية أولادها ومنحهم الاستقرار النفسي والاجتماعي .

5-2- التنشئة الاجتماعية:

التنشئة الاجتماعية هي تلك العلمية التي يشب عليها الطفل ويتربى من خلال اندماجه الاجتماعي.²³

والأسرة هي الحيز الأول الذي ينشأ فيه الأولاد ويندمجون من خلالها مع أقرانهم. فيعرفها عبد الحليم بركات بأنها وحدة اجتماعية إنتاجية تشكل مركز النشاطات الاقتصادية والاجتماعية، تقوم على الالتزام والمودة وأنها أبوية من حيث تركز السلطة والمسؤوليات ومن حيث الانتساب والهوية على أساس الجنس والعمر، ثم غن هناك خصائص تتعلق بالزواج والإرث والطلاق وبنوعية علاقاتها بالمجتمع ومؤسساته .²⁴

إذن يعتبر الأب في الوضع الطبيعي غير الطلاق هو المسؤول لكن لما تقتضي الضرورة تتبادل الأم والأب الأدوار أثناء وقوع الطلاق، وإسنادها الحضانة والولاية على أولادها بالرغم من أن التنشئة الصحيحة والسليمة هي لما تكون الأسرة متحدة وليست مشتتة.

في نفس السياق أكد هذا الطرح إميل دور كايم لما قال : "هي هيئة اجتماعية ذات طابع قانوني وأخلاقي يلتزم أفرادها من زوج وزوجة وأولاد بجملة من الواجبات والتي من بينها تحمل الآباء لشؤون أبنائهم والتكفل بهم " .²⁵

لكن، في خضم المشاكل الأسرية التي تفرق وتعكر صفو العائلة يكون الطلاق هو الحل الأمثل لتفادي خسائر كبرى خاصة على مستوى الأبناء، فطلاق والبعد على المشاكل بدلا من استمرارية هذا النسق شكليا وتساعد نسبة المشاكل أكثر والتي تؤثر بشكل كبير على شخصية ونمو الأطفال.

تحصيل حاصل لما تستلم الأم حضانة أولادها قانونيا تبدأ في وضع مخططات أشبه بمشاريع تنموية على المدى القريب والبعيد، لتخرج منهم أفراد صالحين داخل الإطار المجتمعي، وعلى حد قول أحد القادة قال : "إنني أؤمن بقوة العلم، وأؤمن بقوة المال، وأؤمن بقوة السلاح ولكنني أؤمن بقوة التربية" لما نقول تربية تتوجه أفكارنا مباشرة لمفهوم التنشئة الاجتماعية السليمة حتى وإن غاب الأب، المهم أن ينمو الصغار على مبادئ الصحيحة .

تعتبر التنشئة الاجتماعية جزءا هاما من عملية التربية، كون هذه الأخيرة عملية تنمية شاملة ومتكاملة للطفل جسديا وعقليا -معرفيا ووجدانيا واجتماعيا في إطار مؤسسي

قيمي...أي أن التربية تتعامل مع الإنسان بعقله ووجدانه؛ جسمه؛ قيمة اتجاهاته و ما لديه من مهارات وأفكار.²⁶ هنا تتحمل الأم مسؤولية جسيمة في تربية أولادها .

بناءا على تغيير نمط طبيعة الحياة الأسرية من أسرة منظمة إلي أسرة مشتتة ،منفصلة ومفككة جراء الطلاق، حتى وإن قامت الأم بتربية أولادها وفق أسس صحيحة وجيدة، تجعلها تفتخر بنفسها ويفتخر بها أولادها تجد المجتمع وطريقة تفكيره التعسفية تنقص منها كان يقول تربية "امرأة مطلقة" تجعلها تصاب بحالة إحباط هي وأولادها. ومع ذلك نجد العديد من الناجحين من علماء وباحثين كانت أمهاتهم سببا في نجاحهم كأأم المخترع العالمي "أديسون"، لما تم طرده من المدرسة لقبوها أصحابه "بأم الكسلان"، ذلك المصطلح جعلها تعد العدة العلمية له حتى أخرجته مبدع للبشرية جمعاء، والأم المطلقة أيضا نفس الشئ كيف لا وهي قد أعددتها ظروف قاسية جعلتها أقوى أمام تربية صغارها ويستحضرني هنا قول الشاعر الكبير حول الأم ودورها الجسيم في إعداد النشئ :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

5-3- التعليم:

في خضم كل ذلك تتمحور أدوار الأم بعد الطلاق بشكل أساسي بعد التربية هو التعليم، بحيث تحاول جاهدة لتنتج جيلا متعلما يعتمد على نفسه خصوصا وإن كانت الأم لم تكمل دراستها ولم تتحصل على شهادة تساعد في تقليد منصب معين، فتزيد من نسبة عوزها واحتياجها لعمل تعيل به أولادها حتى وإن كان الزوج ينفق على أولاده بعد الفراق، لكن مع ذلك تبقى الحاجة الدائمة لتلبية كل مطالبهم التعليمية لتكمل مسيرتهم الدراسية بنجاح وتفوق. إذن، يعد التعليم مهمة أساسية تهتم بها الأم المطلقة بعد الانفصال، بتحقيق نجاحات دائمة ومستمرة لأولادها فهذا النجاح إن دل فإنما يدل على نجاحها في غياب الطليق.

5-4- بناء الشخصية :

على غرار ما تم تقديمه سابقا، من الأدوار التي تتقلدها المرأة بعد الطلاق، تعد مهمة بناء الشخصية من المهمات الجد صعبة التي توليها الأم اهتماما كبيرا ، فلا يخفى على الجميع انه هذا المقال يهتم بمرحلة بعد الطلاق وليس مرحلة ما بعد الزواج، بمعنى أصح مرحلة بعد التششت و الانفصال وليست مرحلة الاجتماع و الالتحام الأسري، إذن يتوضح لنا انه الأولاد في هذه المرحلة الحياتية الحساسة و الانتقالية ستبنى شخصيتهم إما تكون سوية متقبلة للواقع الأسري، أم رافضة ساخطة على ما عايشوه وفقدوه .

إذن، دور الأم بالنسبة لهذه المهمة ليس بالدور الهين، وهذا الدور متعلق بما خلفه الطلاق على نفسية هذه الأخيرة، وقد أولاها علماء النفس والاجتماع وحتى الدين أهمية بالغة لما لها من انعكاسات على نفسية الأطفال وشخصيتهم، فلا يخفى علينا أنه أية أزمة مهما كانت طبيعتها تخلف وتنتج عليها نتائج سلبية وأخرى ايجابية، فما بالنا بالطلاق وانعكاساته سواء على المرأة والرجل على حد سواء ولا ننسى الأطفال ضحية هذا الانفصال. وبما أننا مركزين على الأم ودورها سنوضح أهم تداعيات الطلاق على نفسياتها خاصة، فنجدها تعاني اضطرابات نفسية شديدة مؤقتة أو دائمة حسب شخصيتها، جراء الأحداث المؤسفة التي برزت على حياتها وقلبها رأساً على عقب فتغيرت مع هذا الانقلاب عدة مفاهيم وأفكار تجعلها في معظم الأحيان تتهرب من اللقاءات والتجمعات الأسرية خوفاً من الكلام الجارح أو إلقاء اللوم عليها وتبرئة الرجل في كثير من الأحيان، ضف إلى ذلك العوز المادي لتلبية متطلبات الحاجيات الضرورية لنفسها ولأولادها يجعلها تشعر بنقص لعدم مقدرتها على تغطية كل المصاريف .

استكمالاً لما سبق، مهما كانت طبيعة المشاكل النفسية التي تعيشها المرأة بعد الانفصال يبقى ذلك الجانب المشرق الذي يأخذ بيدها لبر الأمان هي وأطفالها، فتجدها تتحلى بالقوة والجلادة بعد كل ما عانتة لكي لا تخسر أولادها وتصنع منهم نموذجاً لشخصية سوية ناجحة رغم كل الصعوبات .

الأم المطلقة والأب المطلق تعد مشاكلهم مشاكل مؤقتة حتى وإن كانت عميقة جراحها تبقى محفورة في النفس والعقل مع مرور الزمن والسنين، فما عايشوه في الحياة ككل يجعلهم مكتسبين نوع من الخبرة تجعلهم يتجاوزن مشاكلهم بطريقة عقلانية، لكن الأطفال صغار لم يتعلموا من الحياة شيئاً تجعلهم يتحدون انفصال والديهم بقوة، فنجد المشاكل النفسية التي يعاني منها الأولاد أشد حدة وتحتد لما يدخلون مرحلة المراهقة، فيرفضون هذا التشتت فلا تكفي نظرة المجتمع للمرأة المطلقة نظرة انكسار كذلك ينظر لهؤلاء الأطفال نظرة شفقة وفي بعض الأحيان نظرة احتقار وازدراء إذا توجهوا لحياة الإجرام لا قدر الله .

لكن في خضم كل ذلك، يمكن تجاوز هذه النظرة السلبية التي فرضها الواقع إذا تحلت الأم بشخصية قوية، فلما يكبر أولادها يجدوا أمامهم نموذجاً لأم بألف رجل تحدثت العالم بأسره بكل مشاكله ووقفت في وجه كل الصعاب لتخرج منهم شخصية قوية نموذجية لتستمر

حياتهم بطريقة إيجابية مبهجة وأكبر دليل على ذلك هو القرآن الكريم الذي قال الله عز وجل في أكثر من موضع انه بعد العسر يسرا .

6- الطلاق الإيجابي كأحد الحلول :

يعتبر الطلاق أزمة حقيقية به تهدم الأسرة ويتشتت الأولاد فهو واقع لا مفر منه، لكن مع ذلك توجب على الزوجين المنفصلين أن يتعاملوا مع هذا الوضع الجديد بنوع من الذكاء واحترام على الأقل للعشرة الزوجية التي كانت بينهما من اجل استمرارية حياة أولادهم فحياتهما قد قضى عليها الطلاق.

فتجدهم قبل الانفصال في مشاكل كبرى تطغى عليها كل أنواع السب والشتم والهدم...و لما يتم دخول المحاكم ترتفع وتيرة الشائم وتتنوع لتصل لحد التجريح النفسي لكليهما فتترك ندوبا يصعب نسيانها، فبعدها كان الحب يتوطن قلوبهما يحتل مكانه الحقد والكره والبغض. وهي كلها نزع من الشيطان الرجيم هدفه التفرقة وزعزعة عرش الرحمان بهذا الطلاق. لذا يحتاج الزوجين المنفصلين في هذه المرحلة بضرورة التحلي بالرزانة والهدوء لحل المشاكل حتى و أن كان الطلاق هو حلها الوحيد.

فجدد كل المظاهر السابقة في جل الدول العربية مقارنة بالدول الغربية التي تعتبر انه الطلاق هو بداية حياة جديدة مراعين مصلحة أولادهم بعد الطلاق. من المرفوض هذه النظرة الإيجابية تكون عندنا في الدول العربية لا عندهم خاصة وأنه القرآن الكريم قد شرع كل ما يخص الطلاق فبينه أنه الطلاق مرتان تسريح بإحسان أو إمساك بمعروف ووضح أيضا نفقة المطلقة وعدتها وفسر أهمية تولى الوالد لمصلحة أولاده بعد الطلاق بتوفير المسكن والملبس والمشرب، كما بين أنه الحياة لا تتوقف بعد الطلاق ففي رحم الطلاق يغني الله كل طرف بحياة جديدة تتغير الأمور فيها للأحسن، لكن لما يتم الرجوع للواقع وللدنيا و ما فيها من فتن تجد الوالد يتبرأ من أولاده فيحرمهم حق النفقة والزيارة والحب و الاهتمام وكأنهم ولدوا بطريقة غير شرعية، وفوق كل ذلك تجده يستحضر زوجته السابقة في كل مجلس بكل ما فيها من سلبيات حتى وإن لم تكن تتصف بها الأم المطلقة أصلا فهو ظلم تعاني منه هي وأولادها أو نجد العكس كأن تتكلم الزوجة المطلقة على طليقها بكل ما يسوؤه مع أهلها وصديقتها والأدهى والأمر مع أولادها فتشوه صورة الوالد لدى الصغار فيكرهون والدهم ويبتعدون عليه مما تتضاعف المشاكل النفسية لديهم فتخلق لهم مركب نقص مع انعدام الثقة فتعكس على المدى البعيد على حياتهم المستقبلية أن شكلوا أسرهم بدورهم .

اعتدادا بما تم طرحه، و بإبراز الطلاق السلبي كيف ينعكس على الأم المطلقة -الأب المطلق وأولادهم، لكن إن تغيرت هذه المفاهيم في ظل الانفصال الذي بات واقعا ويجب التعايش معه، حتما ستتغير العديد من المظاهر ونجد حلولاً لجل المشاكل التي تعاني منها الأسرة المشتتة من الأم والأب والأطفال وهذا الحل يدعى ويسمى "بالطلاق الإيجابي".

بداية الطلاق الإيجابي من الآية الكريمة: "وَإِنْ يَتَقَرَّفَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا" سورة النساء الآية 27¹³⁰ هنا تبدأ الحياة الجديدة للمطلقين، فلما تكن هذه الآيات عبارة على لبنة أولى لانطلاق جديدة تتغير كل معالم الشر و الكراهية التي كانت بينهم، خاصة لما يتحلى كل من الزوج (المطلق) والزوجة (المطلقة) بالصبر تبدأ تنفجر كل المشاكل والهموم ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ سورة الطور الآية 49²⁸. الطلاق قد وقع ومن غير المعقول تتحطم حياة كل طرف مطلق بعد الانفصال، بل من الضروري هو التحلي بالصبر لتجاوز كل محن الدنيا.

إذن، تعتبر أولى خطوات الطلاق الإيجابي هو الرضا بالقضاء والقدر والتحلي بالصبر ثم تأتي باقي المراحل لتكمل العملية بنجاح ألا وهي:

- ❖ يقوم الطلاق الناجح على أسس نفسية وتربوية وقانونية واضحة .
- ❖ بعد الانتهاء من المحاكم وضمان حقوق كل طرف ينبغي غلق باب القضايا والاهتمام بحياة أولادهم بعد الانفصال.
- ❖ خضوع الوالدين لجلسات إصلاح فيما بينهم ليس لإعادة الحياة الزوجية حتى وإن أمكن ذلك، بل لاستصلاح حياة الأولاد وتقادي تفاقم المشاكل النفسية والاجتماعية لديهم.
- ❖ ليس من الضروري ولا من باب العدل أن يتحول فراق الوالدين وانهيار زواجهما إلى حلبة صراع وثأر وانتقام والأطفال هم من يدفعون فاتورة الحرب فيما بينهم ،لذا وجب عليهم عقد حوارات مفادها بناء جسر الحوار والتواصل بينهم لمصلحة الأبناء والتفكير في مستقبلهم، وتعليمهم وكذا توفير كل الحاجيات الضرورية لضمان حياة سوية لهم .
- ❖ قيام الوالد والوالدة بأدوارهم بعد الطلاق وعدم التهرب من المسؤوليات تجاه أولادهم .
- ❖ أثناء زيارة الطفل المحضون سواءا بالنسبة للأب أو الأم عدم جلب الذكريات السلبية في مجلسهم لتقادي شحن الطفل بالطاقة السلبية والتسبب في حالات الاكتئاب له .

❖ متابعة الحالة النفسية والصحية والدينية والأخلاقية والاجتماعية للأطفال بعد الفراق من قبل الأب خاصة و أن دوره هو المراقبة والإشراف.

وفيه العديد من الخطوات والإمكانيات التي إذا أراد المطلقين وضعها وتطبيقها سيتفادون العديد من المشاكل خاصة انحراف أولادهم أو تسريحهم المدرسي أو انهيار شخصيتهم أمام أقرانهم وباقي أفراد المجتمع، فنحن لا ننسى انهيار نموذج الأب والأم أمام أولادهم أثناء مشاكل التفكك الأسري والطلاق، فبإتباع خطوات ما بعد الطلاق والاعتداد بها على أنها خطوات سليمة وإيجابية ستصحح العلاقات فيما بينهم ويبنى نسق على أساس التفاهم والاتساق حتى بعد الفراق .

نقلا عن جريدة القبس الإلكترونية 26 يونيو 2005 توضح فتاة اسمها "إيما بلومبرغ" عن الأثر الإيجابي الذي تحقق بطلاق والديها مايكل وسوزان بلومبرغ قالت : فالطلاق حلال كالزواج. و لا معنى أبداً أن تكون علاقة ما سجناً مؤبداً يدفن فيه أحد الطرفين كل أمل في تجديد حياته.قالت إيما إن طلاق الوالدين كان أمراً عظيم النفع، أنهى التوترات وجعل الزوجين السابقين صديقين يحترم أحدهما الآخر وجعل علاقتهما بابنتهما أفضل .العقدة هي أن الطلاق الإيجابي مثل الزواج الناجح يحتاج إنسانية عميقة وذكاء وتضحية.وعلى رغم ذلك فإن من يعجز عن إظهار هذا كله، أثناء الزواج ليس ضرورياً أن يعجز عن إظهاره أثناء الإجراءات المؤلمة للطلاق وبعده، لأن تغير ظروف العلاقة قد يظهر النفس من كثير من المشاعر الضارة ويساعدها على أداء أفضل.

خاتمة :

تضمن هذا المقال موضوع لا يقل أهمية عن باقي المواضيع المعالجة ضمن الحقل السوسيولوجي ألا وهو ازدواجية دور الأم بعد الطلاق، أوضحنا التحديات التي تواجه المرأة المطلقة بعد الطلاق من ناحية حضانة وتربية وتعليم وتنشئة أولادها، وبيننا أهمية الطلاق الإيجابي كأحد الحلول الضرورية للمحافظة على الصحة النفسية والاجتماعية للأطفال بعد انفصال والديهم وانهيار أسرهم. ومع ذلك، يبقى الزواج سكن للرجل والمرأة والأولاد، لكن في غياب المودة والرحمة والسكينة يكون الطلاق كحل أخير لجل المشاكل الأسرية على اختلافها.

لكن، ما يجب التنويه له هو ضرورة معالجة المشاكل الأسرية قبل استفحالها وهو ما سنوضحه في لائحة التوصيات اللاحقة، وإذا حدث الطلاق تتغير منظومة الأسرة من

متكاملة متحدة إلى أسرة مشنتة تحتاج إلى طرائق التعامل معها بفرضها نسق اجتماعي جديد. وهذا ما سنسعى لتوضيحه في توصيات تهتم بالوضع الأسري بعد الانفصال.

التوصيات:

أولاً: نصائح و إرشادات قبل الطلاق:

- ❖ التفقه في الأمور الدينية المتعلقة بالزواج، من القران الكريم والسنة الحميدة .
- ❖ المشاركة في دورات توعية للأزواج قبل الزواج .
- ❖ التعرف على بعضهما في فترة الخطوبة واكتشاف مدى ملائمة كل طرف للآخر ،فالبدايات تحكم النهايات .
- ❖ استشعار المشاكل الأسرية قبل حدوثها بالاعتماد على الحوار والمصالحة الأسرية والثقة بين الطرفين .
- ❖ استشارة أهل العلم والدين والمستشارين النفسانيين والاجتماعيين لتفادي الطلاق واعتباره كآخر الحلول.
- ❖ اهتمام الجهات الوصية للدولة بضرورة إنشاء مراكز لتأهيل الشباب والشابات قبل الزواج وبعده وأهميتها في إصلاح المجتمع والمحافظة على كيانه.

ثانياً:توصيات بعد حدوث الطلاق:

- ❖ ضرورة الاعتماد على الصبر والهدوء والرجوع لله عزوجل أولاً وقبل كل شيء.
- ❖ بعد الانفصال، على المطلقين التحلي باللباقة ولا يكونوا ناكري للعشرة التي كانت بينهم ، فلا يحمل كل طرف مسؤولية الانفصال للطرف الآخر و ما وقع قد وقع وانتهى ، وتذكر المواقف الإيجابية التي كانت بينهما ، ولا داعي لذكر سلبياتهم أمام الآخرين وخاصة أولادهم ، فالحياة أوسع من خلافات سابقة طوى كل واحد منهما صفحتها .
- ❖ غلق كل ملفات المحاكم والقضايا والتوجه بعدها للاهتمام بالأولاد ومستقبلهم.
- ❖ اعتماد مبدأ المصالحة مع الذات والآخرين وخاصة بين المطلقين وأولادهم لضمان الصحة النفسية لكل الأطراف وتفادي الأزمات النفسية التي تحول دون استمرارية الحياة بعد الفراق.
- ❖ توفير كل الاحتياجات المادية الضرورية للأولاد بعد انفصال والديهم،مع ضرورة تتبع مشوارهم العلمي وعدم إقحام مشاكلهم الشخصية بينهم وبين أولادهم .

- ❖ احترام حق الزيارات سواء للأم أو الأب، وجعل هذه الأخيرة فرصة للتواصل الإيجابي بينهم وبين أولادهم.
 - ❖ استشارة الأطباء النفسيين والمرشدين الاجتماعيين بعد الطلاق ودراسة وضعية الأولاد ومساعدتهم على التعبير والتفكير على كل مكبوتاتهم ومشاعرهم الكامنة لضمان الأمن النفسي الداخلي للذات .
 - ❖ حرص الوالدين المنفصلين على طرق التعامل مع أولادهم والتعبير على أنهم قادرين للعيش ضمن النمط الحياتي الجديد الذي فرضه الفراق عليهم، وأن أولادهم بإمكانهم الاستمرار في هذه الحياة دون أية مشاكل .
 - ❖ ضرورة الحفاظ على صورة الأب والأم أمام الأولاد ولا يتحقق ذلك إلا باتباع النصائح السابقة و ما تم إدراجه في هذا المقال.
- أخيرا، الطلاق نهاية مأساوية ولا ننكر ذلك، حتى وإن انتهت الحياة التي كانت تربط بين شريكين وأصبحا مطلقيين، فمن المستحسن تذكر أنه هذا الشريك كان في يوم من الأيام عشيرك وقريب من فؤادك فلا تنكرا الود الذي كان بينكما، واعتبرا أن الحياة ما هي إلا محطة من محطات وامتحانات يمر بها الفرد دائما لحياة أفضل فيما بعد فلا تنسيا الفضل الذي كان بينكما .

الهوامش:

- ¹ - نصر إسماعيل أبا بكر علي الباري(2009)، أحكام الأسرة والزواج والطلاق بين الحنفية والشافعية دراسة مقارنة، ط1، عمان، الأردن، ص. 299.
- ² - فريد بيكس(2013)، ظاهرة الطلاق وأثرها على المرأة تحليل نفسي واجتماعي، مجلة المعارف (مجلة علمية محكمة)، العدد 14 أكتوبر، جامعة لبويرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 100، على الخط. www.univ-bouira.dz ، (2018-04-12)
- ³ - سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، الإسكندرية، دار المعرفة، ص19.
- ⁴ - قانون الأسرة الجزائري 2017
- ⁵ - christèle clement(2007), le divorce fich de niveau 2 ; droit de la famille ;février ;p 01 ;www ;France ;jus(2018-04-20)
- ⁶ - نبيلة باوية (2017)، جودة الحياة لدى المرأة المطلقة (دراسة تحليلية)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 30 سبتمبر، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، ص 205- 214، على الخط،
<https://dspace.univ-ouargla.dz/jspui/bitstream> (2018-03-20)

- ⁷⁻ محمد بوربالة ،مقادي إبراهيم (2016)، البناء النفسي لأطفال الطلاق (دراسة ميدانية على تلاميذ التعليم المتوسط والثانوي)، الساور للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، العدد 04 مارس، بشار، جامعة طاهري محمد ، الجزائر، ص 202-222، على الخط. www.univ-bechar.dz/portail/images (2018-04-11)
- ⁸⁻ صالح بن سليمان بن عبد الله الشقير (2008)، الطلاق وأثره في الجريمة ،دراسة تحليلية تطبيقية ،مذكرة ماجستير ،قسم العدالة الجنائية تخصص السياسة الجنائية،الرياض ، ، ص 37
- ⁹⁻ سورة النساء الآية 1
- ¹⁰⁻ صالح بن سليمان بن عبد الله الشقير، مرجع سبق ذكره، 2008، ص 38
- ¹¹⁻ راشد العجمي (2014)، فاعلية برنامج إرشادي جماعي لتحسين مستوى التوافق النفسي والاجتماعي لدى أبناء الأسر المطلقة في المراحل المتوسطة (11-14) دراسة تجريبية على عينة من الأسر المطلقة في دولة الكويت، ، ص 35
- ¹²⁻ لوشاحي فريدة ،طلاق الوالدين والاستجابات النفسية للطفل ، ص 190، على الخط UNIV-BISKRA.DZ.DSPACE (2018-04-09)
- ¹³⁻ لوشاحي فريدة ، المرجع نفسه، ص 192.
- ¹⁴⁻ سورة النساء الآية 35.
- ¹⁵⁻ ياسر يوسف إسماعيل (2009) المشكلات السلوكية لدى الأطفال المحرومين من بيئتهم الأسرية، رسالة ماجستير ،كلية التربية ،قسم علم النفس ،الجامعة الإسلامية غزة ، ص 45
- ¹⁶⁻ مركز الإحصاء نقلا عن www.youm7.com بتاريخ 05-05-2018 التوقيت 10:30
- ¹⁷⁻ محمد عاطف غيث (1970) تطبيقات علم الاجتماع، ط1، الإسكندرية ، دار الكتب الجامعية، ص 229 www.justice.gouv.fr :le Divorce –ministère de la justice :Procédures¹⁸⁻
- ¹⁹⁻ سورة الإسراء الآية 70
- ²⁰⁻ ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين (2003) لسان العرب ، ج 13، بيروت، لبنان، دار صادر ،ص ص 122-123
- ²¹⁻ ناصر محمد عليوي (2010) الحضانة بين الشريعة والقانون ،ط1، عمان، الأردن، دار الثقافة ، ص 24
- ²²⁻ <http://mawdoo3.com> بتاريخ 25-04-2018 بتوقيت 11:00
- ²³⁻ أحمد الهمشري (2003) التنشئة الاجتماعية للطفل، ط1، عمان ، دار الصفاء للنشر والتوزيع ، ص 20.
- ²⁴⁻ عبد الحليم بركات (1986) المجتمع العربي المعاصر، لبنان ، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 175
- ²⁵⁻ ALAIN BEITON(2000) SCIENCES SOCIALES 2 eme Edition dalloz édition ; paris :p173
- ²⁶⁻ هدى محمود الناشف (2006) الأسرة وتربية الطفل، ط1، عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، ص 22
- ²⁷⁻ سورة النساء الآية 130
- ²⁸⁻ سورة الطور الآية 49.